نأخذ بعين الاعتبار وجود مجال واسع من الاتجاهات المختلفة ـ من اليمين الفاشي وحتى الاشتراكية الديمقراطية التي لها مواقف واقعية في السياسة الاسرائيلية الداخلية والدولية». وأشار نوسنكو الى «ان البحث الفعّال لطرق السلام في المنطقة يتطلب وجود اتصالات مباشرة مع جميع اطراف النزاع، وبالاخص ان ثمّة حاجة ماسة الى نشاطات ملموسة وليس الى علاقات برّاقة». وأضاف: «لقد أُجريت عدة اتصالات منفردة، في السابق، بين الاتحاد السوفياتي واسرائيل، في الفترة ما بين العامين ١٩٨٦ و١٩٨٨، حيث أُجريت مجموعة من اللقاءات مع ممثلين في وزارة الخارجية الاسرائيلية، بهدف تبادل الآراء بالقضايا المتعلقة بالتسوية الشرق أوسطية» (**المصدر نفسه**).

وقبل الخوض في خلفيات ما يتوقعه المراقبون من تطورات في ضوء التفكير السوفياتي الجديد، وفي ضوء جولة شيفاردنادزه على المنطقة، لا بد من التنويه الى الاستنتاج الذي خرج به بعض هؤلاء، الذي رأى ان الهجوم السوفياتي الدبلوماسي الجديد يأتي في وقت لم تمتلك فيه الادارة الاميركية الجديدة، بعد، القدرة الفعلية على المبادرة، خصوصاً وانها لم تفرغ من مرحلة التعيينات والاسماء وتسمية الاشخاص الذين سيتولون معالجة الملفات (فيليب غلين، **انترناشونال هيرالد تربيون**، ٢٢/٢/١٩٨٩). وذكر البعض ان الاتحاد السوفياتي كان أبلغ الى الولايات المتحدة انه لا يتمسك بمواقف جامدة في ما يتعلق بصلاحيات المؤتمر الدولي، وبتوزيع الادوار فيه، وانه مستعد لابداء المرونة الضرورية لانجاح هذه الخطوة، خصوصاً وان فكرة عقد المؤتمر الدولي هي، في الاساس، فكرة سوفياتية (جيرمي ستون، **المصدر نفسه**، ٨/٢/١٩٨٩). وأضاف البعض الآخر، ان جولة شيفاردنادزه جاءت بعد ظهور لغة سوفياتية جديدة في التعامل مع الازمات في العالم، وفي التعامل مع أزمة الشرق الاوسط. وان حلفاء الاتحاد السوفياتي واصدقاءه لمسوا، عملياً، مدى التغيير الذي ادخل على اللغة السوفياتية في التعامل مع هذه الازمات (**المصدر نفسه**، ٢٠/٢/١٩٨٩).

ورأى البعض الثالث، ان الاتحاد السوفياتي يتصرف كأن لا عودة، ابداً، الى الحروب العربية ـ الاسرائيلية، مع كل ما يعنيه ذلك بالنسبة الى علاقات التعاون والصداقة والتسليح والمساعدات للبلدان التي كانت تتحمّل عبئاً أساسياً في المواجهات العربية ـ الاسرائيلية. واستطرد، ان جولة شيفاردنادزه عكست، أيضاً، موافقة موسكو على قيام مصر بدور أساسي في تقريب وجهات النظر وفتح قنوات الاتصال بين طرفي النزاع في الشرق الاوسط؛ وهذه، بحد ذاتها، خطوة جديدة (**المصدر نفسه**، ٢١/٢/١٩٨٩). وهكذا، فان لقاء شيفاردنادزه وارنس في القاهرة، ثم لقاء شيفاردنادزه مع ياسر عرفات في القاهرة، أيضاً، جعلا العاصمة المصرية عاصمة المرحلة المقبلة في التسوية. وقد ترشحها التطورات لأن تكون عاصمة الحوار الفلسطيني ـ الاسرائيلي، أي الحوار الذي يفترض ان يسبق المؤتمر الدولي من دون ان يحلّ محله. وهذا يعني، أيضاً، ان السوفيات استوعبوا جيداً دروس المراحل السابقة، واخذوا في اعتبارهم الواقع الذي افرزه الصلح المصري ـ الاسرائيلي. الا انهم، عكس الاميركيين، لا يريدون توظيف هذا الصلح لعزل مصر واضعافها، أو حتى ارهابها، بل يريدونها ركيزة ومنطلقاً للمراحل التالية في تسوية منقّحة. واذا كان الاميركيون حاولوا متأخرين ان يتصرفوا بهذا الوعي لأهمية مصر، فان وزير الخارجية السابق، جورج شولتس، توجّه الى القاهرة، لعلها تساعده في احراز تنازلات عربية، بعدما تيقّن من ان ابواب التغيير الاسرائيلي موصدة (**الحياة**، لندن، ٢١/٢/١٩٨٩).

كيف يمكن تعدي عرض هذا الكلام السوفياتي اللطيف بحق مصر الى محاولة فهم ماذا يجري فعلياً ؟ فلنلاحظ، أولاً، ان الاتحاد السوفياتي، باللغة التي يعتمدها، حالياً، لم يعد يعاني من عقدة الحصار والخوف من العزلة، وهي مخاوف اثارتها اتفاقيتا كامب ديفيد، حين اعتبرت موسكو ان الغرض الاساس منها هو انشاء توازنات سياسية وعسكرية جديدة تكون بمثابة اعادة صياغة جديدة لموازين القوى في المنطقة، وعلى نحو معادٍ للسوفيات، وهو الامر الذي دفع موسكو الى اتخاذ مواقف سياسية متشددة في حينها (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ٢١/٢/١٩٨٩).

بيد ان جولة شيفاردنادزه، وظهور اللغة